سفر الأعمال: الصلب والقيامة والإعلان

من الأرض إلى الصّليب، من الصّليب إلى السّماء

غريغ بلومبرغ دكتور
أستاذ دكتور في معهد دنفر للاهوت، الكائن في مدينة ليتلتاون، بولاية كولورادو

الملاحظات

جميع الحقوق محفوظة. أي جزء من هذا المنشور قد تكون مستنسخة في أي شكل أو بأي وسيلة من أجل الربح، إلا في الاقتباسات وجيزة لأغراض الاستعراض، تعليق، أو منحة دراسية، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

غريغ بلومبرغ دكتور

أوّلاً: مُقدّمة

وأخيرًا، وصلنا إلى الأحداث التي تشكّل ما يدعوه العلماء «قصة الآلام»، الموجودة في مرقس ١٤ فصاعدًا (والمقاطع المقابلة في الأناجيل الأخرى). نمرّ عن يوم الأربعاء في أسبوع الآلام بصمت، فليس في الأناجيل ما يُربَط بهذا اليوم بوضوح وبغير غموض.

ثانيًا: خميس غسل الأرجل

نأتي إلى يوم الخميس، وهو الخميس الذي يُعرَف في الأدب المسيحي والليترجيا باسم «خميس غسل الأرجل» أو «خميس الأسرار»، وفي اللاتينية يُدعى Maundy Thursdy، حيث الكلمة Maundy تأتي من الكلمة اللاتينية mandatum، التي تعني وصية. فهذا اليوم مرتبط بالوصايا التي أعطاها يسوع لتلاميذه في ليلة ذلك الخميس في العلّية.

أ. العشاء الأخير

يحتلّ العشاء الأخير الدور الأوسط والرئيسي في الأناجيل الأربعة كلِّها، مع أننا أشرنا في درس سابق إلى أن رواية نطق يسوع بكلماته الخاصّة عند تناول الطعام، أي الاحتفال بالفصح الذي تعلّق به العشاء الأخير، غير موجودة في إنجيل يوحنّا. توجد هذه الكلمات في الأناجيل الإزائية الثلاثة، بينما يقدّم يوحنا روايةً أكمل لتعليم يسوع لتلاميذه بعد تناول الطعام. وتلك الوليمة، التي كانت في الأصل الاحتفال بعيد الفصح، إطاعةً لوصية الله في سفر الخروج بغرض تذكير شعب إسرائيل بتحرير الله له من أرض مصر، يعطيها يسوعُ معنىً جديدًا بينما يحتفل بتناولها مع تلاميذه الاثني عشر كما كان رأس العائلة يحتفل بهذه الوليمة مع أفراد العائلة.

في هذه المناسبة، أخذ يسوع الخبز والخمر، وهما جزءٌ اعتيادي من الوليمة، وقال: «هذا هو جسدي الذي يُبذَل عنكم.» وقال: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.» في السياق الأصلي، إن أمسك رجلٌ يهودي رغيفَ خبزٍ وكأسًا سُكِب به خمرٌ ليُشرَب، لن يخطئ السامعون فهم معنى كلامه الذي صرّح به بأن هذه العناصر، الطعام والشراب، تحوّلت إلى جزءٍ من كيانه الجسدي، وهو ما جادلت بشأنه لاحقًا تيارات فكرية داخل الكنيسة.

هذه طريقة تصويرية مليئة بالحياة ترمز إلى أهمية موته، استخدم يسوعُ فيها الرموز كما استخدمها في الأمثال، إذ استخدم الأعمال النبوية الرمزية في كل الأيام والأسابيع التي سبقت صلبه. وهو يشير هنا بطريقة تصويرية جدًا إلى المغزى الخلاصي أو التكفيري – إلى الطبيعة البديلية لموته، حيث تحمّل عقوبة الخطايا، خطايا كل البشر، كل الذين يأتون إليه ويثقون به. ولذا، فإن لدى الكنيسة كل الحق بأن تحتفل بـ«الشركة»، «الإفخارستية»، «عشاء الرب» (إذ له أسماء كثيرة) كنوعٍ من إعادة تمثيل ما حدث حين أخذ يسوع الخبز والخمر، وذلك لتذكُّر مغزى وأهمية موت المسيح عنّا ومن أجلنا، وكذلك للإشارة إلى عودته لأجل «الوليمة المسيحانية» العظيمة حين يعود، إذ قال في بداية

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ«الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

تلك الليلة: «إنّي لا أشرب من نتاج الكرمة حتّى يأتي ملكوت الله» (لوقا ٢٢: ١٨).

ب. حديث يسوع الوداعي

بعد العشاء، أنبأ يسوع بإنكار بطرس له. كان يسوع قد أشار إلى خيانة يهوذا الآتية، مع أن تلك الإشارات كانت غامضة حتّى أنّ التلاميذ جميعًا لم يفهموها حين قيلت. يضيف إنجيل يوحنا مقدارًا كبيرًا من التعاليم التي لا ترِد في الأناجيل الإزائية، وهي ما يُشار إليها عادةً بحديث يسوع الوداعي. يشير يوحنا ١٣ إلى أخذ يسوع لمنشفةٍ وغسله أرجل التلاميذ لتعليمهم عن القيادة الخادمة.

وفي الأصحاحات ١٤–١٧، يعلّمهم يسوع بشأن ضرورة ذهابه وبشأن وعده بالرجوع، وعن أثمن ضمانة للتلاميذ وهي إرساله الروح القدس، «البارقليط»، «المعزّي»، «الحاثّ،» «المُشجّع،» ليقوّيهم للخدمة التي سيتمّمونها، وهي خدمة يُتوقّع أن تُقابَل بالكثير من الرفض والعداوة والضيق، ولكنه يعدهم بأنهم سيغلبون العالم. كما تحتوي هذه الأصحاحات، كما رأينا في مُقدّمتنا إلى إنجيل يوحنا، بعض أوضح التعاليم التي شكّلت بذورًا لعقيدة الثالوث التي صاغتها الكنيسة، حيث يتحدَّث يسوع عن وحدانيته مع الآب والروح القدس.

وفي الأصحاح ١٧، بشكلٍ خاصّ، لدينا ما يُدعى «صلاة يسوع الكهنوتية» (ربما العنوان «صلاة الرب»، وهي الصلاة التي رفعها الرب يسوع، عنوان أفضل). نرى في هذه الصلاة لمحاتٍ ليس فقط عن وحدة يسوع مع أبيه وإنجازه لكل المهامّ التي أعطاه الآب إيّاها لتتميمها، بل أيضًا صلاته لأجل تلاميذه، وكذلك (وهو أمرٌ مفاجئ) لأجل الذين سيصيرون تلاميذ له من خلال شهادة تلاميذه، ويشمل هؤلاء كل المسيحيين الحقيقيين في كل العصور والأزمان والأماكن. تتمحور صلاته لأجل تلاميذه بشكلٍ أساسي حول موضوع الوحدة. لا شك أنّنا في عالمنا المعاصر نواجه شعورًا بالخزي لوجود مئاتٍ، بل ربما آلافٍ، من الطوائف المسيحية، مما يجعل موضوع الدعوة للوحدة المسيحية موضوعًا للسخرية.

لا شكّ أنّه كانت هناك أوقات في تاريخ الكنيسة انحرفت تعاليمها عن أساسيات العهد الجديد، حتى صار الإصلاح والانقسام والبدء من جديد أمرًا ضروريًا لا مفرّ منه. ولكنْ يصعب الادّعاء أن هذا كان وضع الكنيسة في أكثر من بضع فتراتٍ رئيسية في تاريخ الكنيسة. ومدهشٌ أيضًا أن نرى في يوحنا ١٧ أن السبب الرئيسي لدعوة يسوع إلى الوحدة والصلاة لأجل الوحدة وسط تلاميذه إنما هو كون الوحدة عملاً كرازيًا، حين يراهم العالم ويعرف أنهم في المسيح وهو فيهم. يمكن لوحدة الكنيسة أن تلعب دورًا قويًا في الكرازة في كلّ ثقافة، وفي كلّ عصر وزمان ومكان، وهو أمرٌ على المؤمنين أن يهتمّوا به بشكلٍ جادّ. وبعد هذه التعاليم الأخيرة والصلوات المرفوعة في العلية، ترك يسوع المكان ذاهبًا إلى بستان جثسيماني.

ت. بستان جثسيماني

في الطريق إلى البستان، استمرّ يسوع يعلّم تلاميذه، وحين وصل إلى سفوح جبل الزيتون، دعا بطرس ويعقوب ويوحنا، الدائرة الضيقة الأقرب إليه من ضمن تلاميذه، للذهاب معه للصلاة. وحين وصلوا، تركهم على بعد مسافة، وبدأ يصلّي إحدى أروع وأعظم الصلوات المُدوّنة في الكتاب المُقدس. فمن ناحية، هذه صلاة تُظهِر بشكلٍ مطلق تواضع يسوع الكامل. لم يرغب يسوع بأن يعاني ألم الصلب، مثلما لا يرغب أي إنسان فانٍ بذلك. فصلّى قائلاً: «إنْ شئتَ أن تجيز عني هذه الكأس، ولكنْ لتكُن لا إرادتي بل إرادتك.» ولكنّه في الوقت نفسه أقرّ باتّكاله الكامل على أبيه وبخضوعه التامّ لإرادة الله. فإن كانت هذه إرادته، فهو مستعدٌّ لأن يعبر في هذه المحنة. يا لتناقض هذا مع عجز التلاميذ حتى عن البقاء مستيقظين على الأقل، وإن كان ينبغي أن يكونوا مصلين أيضًا – مع أنهم لم يكونوا يبعدون عن يسوع سوى مسافة قصيرة.

ث. الخيانة والتسليم

في نهاية الفترة التي قضاها يسوع في بستان جثسيماني، أتى يهوذا، الذي كان قد ترك التلاميذ المُضطربين، مع مجموعةٍ من الجنود، الذين ربما كانوا مزيجًا من حرس الهيكل وجنود رومان، قائدًا إياهم للقبض على يسوع في البستان. فقبّل يسوع في الظلام كعلامةٍ على مَن هو قائد هذه المجموعة

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ»الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

الصغيرة. ولم يدافع يسوع عن نفسه، بل في الحقيقة وبّخ بطرس الذي سحب سيفًا لبدء ثورةٍ ضعيفة، ومن ثمّ شفى أذن العبد التي قطعها بطرس بسيفه. اقتيد يسوع، الذي لم يكن لديه ما يدافع به عن نفسه باختياره، للحجز والتحقيق معه ومحاكمته. وفي هذه الأثناء، هرب التلاميذ، مُقدّمين بهذا مقابلة شائنة ما بين الذين تفاخروا بأنهم سيتبعون يسوع حتى إلى الموت إن اقتضى الأمر، وردّ يسوع المثالي. نحن الآن في وقت متأخِّر من ليلة الخميس، والأحداث التالية حصلت في ليلة الخميس التي بدأت تتناهى في اقتراب صُبح الجمعة.

ثالثًا: الخميس والجمعة

حصلت سلسلة من التجمُّعات الليلية السريعة، وتمّ التحقيق مع يسوع وسماع أقواله. ونعرف من إنجيل يوحنا أنّه أُخِذ أولاً ولفترةٍ قصيرة إلى بيت حنانيا، رئيس الكهنة السابق، وأبي عدة أولاد شغلوا منصب رئيس الكهنة بالتناوب، بما في ذلك قيافا، رئيس الكهنة الحالي. كانت روما هي مَن تعيّن رؤساء الكهنة وفي بعض الأحيان تخلعهم. بحسب الشريعة اليهودية، يبقى رئيس الكهنة في منصبه طيلة حياته، ولذا فإن هذه المحاكمة أو التحقيق القصير أمام حنانيا إشارة يهودية منطقية ومفهومة إلى مَن لا يزال في عيونهم، من الناحية التقنية، رئيس الكهنة العامل والحقيقي.

أ. التحقيق مع يسوع ومحاكمته أمام قيافا

تصف كل الأناجيل الأربعة بدرجةٍ مختلفة من التفصيل مجريات التحقيق مع يسوع أمام قيافا، رئيس الكهنة القانوني في نظر روما. ولكن، يبدو هناك بعض التناقض الظاهر بين متّى ومرقس من جهة، حيث يشيران إلى حدوث هذا التحقيق في الليل، ولوقا من ناحية أخرى، إذ يشير إلى حدوث هذا التحقيق مع بزوغ الفجر. ولكن، في الحقيقة إجراء تحقيقات وإصدار قرار ملزم بعد تحقيق ليلي أمران غير شرعيين. ولذا، من المحتمل جدًا أنّه حصل بعض التكرار في الصّباح للتحقيقات التي جرت في الليل، ولوقا يختار أن يروي أحداث الفجر (القانونية). وفي الحقيقة، قراءة مرقس ١٥: ١–٢ قراءة مُدقّقة مع المقطع الموازي في متّى يظهر أن مرقس ومتى أيضًا عرفا عن التحقيق الصباحي أمام قادة اليهود، ثم أخذوا يسوع وسلّموه للوالي الروماني بيلاطس البنطي.

ما الذي حدث في هذه التحقيقات؟ بينما كان بطرس ينكر يسوع ثلاث مرات أمام أناسٍ لا مكانة اجتماعية لهم كجارية، كان يسوع بالمقابل يقدّم اعترافًا حسنًا أمام مَن كانت بيدهم السلطة ليسلّموه للصلب. وبعد تقديم عدة شهود زور لم يتّفقوا في شهادتهم لإدانة يسوع، أثير أخيرًا السؤال: «أأنت المسيح ابنُ المبارَك؟» في مرقس ١٤: ٦٢. وتُوصَف رواية إنجيل مرقس لردّ يسوع ببساطة بقوله: «أنا هو.» أما متّى ولوقا فيورِدان إجابة يسوع بنوعٍ من التعبير المُلطَّف: «أنت قلت.»

ب. ابن الإنسان

الراجح أن قول يسوع ليس إنكارًا، ولكنّه ترجمة حرفية لكلمات يسوع الآرامية، التي لا شكّ أنّها كانت تأكيدًا غير مباشر، ولكنّه كافٍ، لأنَّ كُلَّ كُتّاب الأناجيل، كُتّاب الأناجيل الإزائية الذين رووا هذه القصّة، يقولون إن يسوع أوضح أو شرح ردّه بقوله: «من الآن تُبصِرون ابنَ الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا على سحاب السماء» (متّى ٢٦: ٦٤). ترون هنا وجود أنواع مختلفة من التوقُّعات المسيحانية في أيام يسوع. وحتّى اللقب «ابن الله» كان لبعض الناس، خاصّةً جماعة قمران، يعني أكثر من مسيح بقليل. لم يكن أيٌّ من هذين اللقبين («المسيح» و«ابن الله») يعني، بالنسبة لقيافا أو للفهم التقليدي لهما، بالضرورة كائنًا إلهيًا فوق طبيعي سيكفّر عن خطايا العالم. وهكذا، نرى يسوع يكمِل حديثه بالإشارة إلى تعليمٍ في دانيال ٧، خاصّة الآيتَين ١٣ و١٤، والمتعلّقة بخدمة ابن إنسانٍ سماوي، شخصٍ تنبأ عنه دانيال بأنه يملك سلطانًا لأن يأتي ويمثُل أمام قديم الأيام، في بلاط عرش الله نفسه، وينالَ هناك سلطانًا على كل شعوب العالم.

ينطوي كلام يسوع على مفارقة، فاستخدامه للقب «ابن الإنسان»، وهو لقب استخدمه في كلّ خدمته بشيءٍ من الغموض، يبدو لبعض مستمعيه من اليهود أمجد وأعظم من اللقبين «مسيح» و«ابن الله». علينا أن نراجع تفكيرنا المسيحي الشائع، حيث كثيرًا ما يُربَط اللقب «ابن الإنسان» ببشرية يسوع، واللقب «ابن الله» بطبيعة يسوع الإلهية.

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ«الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

ومع أنّ هذه المعاني تظهر في بعض سياقات العهد الجديد، فإنّه في الفكر اليهودي الذي كان زمن يسوع، كان اللقب «ابن الإنسان» أعظم وأمجد، إذ كان يشير بوضوحٍ إلى ألوهية يسوع أكثر من اللقب «ابن الله». وهذا ما يظهر في الروايات المتسلسلة لردّ السنهدريم، أي المحكمة اليهودية العليا، على كلمات يسوع. فحين قال إنّه «ابن الإنسان» وأنه سيجلس عن يمين الله وسيأتي مع سحاب السماء، مزَّق رئيس الكهنة ثيابه، واتّفق مجلس السنهدريم على اتّهامه وإدانته بالتجديف.

ت. أسئلة بشأن التحقيق والمحاكمة

توجد اتّهامات مزعومة كثيرة بشأن أخطاء تاريخية في مجريات التحقيق مع يسوع ومحاكمته. فلم يكن مسموحًا أن يحضر معه ما ندعوه اليوم «محامي دفاع»، وقد حدثت أمورٌ كثيرة في الليل، ولم يتمّ اتّباع البروتوكول الصحيح في ترتيب تقديم الشهود (بل إن الأناجيل تشير إلى محاولة استدعاء شهود زور)، وأمورٌ أخرى. نجيب عن هذا السؤال المتعلّق بصحة روايات الأناجيل بطريقتَين اثنتَين على الأقل: أولاً، بعض هذه القوانين والبروتوكولات أُقرَّت لاحقًا، فكُتِبت في «المشنا» قرب العام ٢٠٠ م، وربما لم تكن قد صارت قوانين فاعلة قبل العام ٧٠ م، أي قبل تدمير الهيكل وبروز الحركة الفريسية بصفتها الحركة الفكرية اليهودية الرئيسية.

ولكن مهم أيضًا أن ندرك أن شدّة التلهُّف لعمل شيءٍ قد تدفع الناس لتجاوز القوانين واختيار اصطناع مظهرٍ قانوني، برغم تجاهل الكثير من التفاصيل في ظروف استثنائية مُعيّنة. كما أنّه واضحٌ أن هذا ما حدث عند رجم استفانوس. ويوضّح إنجيل يوحنا أن اليهود لم يكونوا يملكون الحق في أن يوقِعوا عقوبة الإعدام بأحد. ولكنْ ما بدا في أعمال ٧ أمرًا له مظهر القانونية، يبدو أنّه تحوّل إلى حركة هياج شعبي، ويبدو أن محاكمة يسوع أيضًا احتوت على بعض عناصر ذلك الهياج الشعبي. ولكن بعد كل التفاصيل التي شُوهِدت، وصل مجلس السنهدريم إلى إدانة يسوع. وفي الصباح، حين كان بيلاطس، الحاكم الروماني، يستمع في بلاطه للقضايا التي كانت تُحضَر إليه، أسلموا إليه يسوع، وطالبوا بإعدامه صلبًا.

رابعًا: الجمعة

أ. يسوع أمام بيلاطس

بدا بيلاطس في البداية مقتنعًا ببراءة يسوع، ونراه يحاول أن يجد طرقًا لإطلاق سراحه. ولكن في النهاية، نجد الجمع يطالب بباراباس، الذي كان مثير فتن وقلاقل، وليس مجرد لصّ. والراجح أنه كان من الغيوريين أو «إرهابيًا». وكانت هناك عادة تتعلّق بعيد الفصح هي أن يتم إطلاق سراح أحد السجناء، وكان بيلاطس يأمل بأن يتمكن من إطلاق سراح يسوع بحسب تلك العادة. ولكنّ قادة اليهود أثاروا الجمع ليطالبوا بإطلاق سراح باراباس بدلاً من يسوع. والمثير للسخرية والدهشة هو أن «باراباس» اسم يهودي يعني «ابن أبٍ». ويسوع الذي هو الابن الحقيقي لأبيه السماوي، لم يُطلَق للأسف سراحُه ليُطلَق بدلاً منه ذلك الرجل المُسبّب للاضطرابات. وحاول بيلاطس أن يتهرَّب من المسؤولية بإرسال يسوع إلى هيرودس، الذي حدث أنّه كان في مدينة أورشليم للاحتفال بعيد الفصح. هيرودس هذا هو «هيرودس أنتيباس»، ابن هيرودس الأكبر، الذي كان ملكًا على الجليل في تلك الأيام، وبهذا فإن سلطته تشمل المنطقة التي يسوع منها. نقرأ عن هذه القصة في إنجيل لوقا. ولكننا نرى أن هيرودس لم يُرِد أن يكون من يصدر الحكم النهائي، ولذا أعاد المسؤولية لبيلاطس، الذي في النهاية رضخ لمطالب الجمع بصلب يسوع.

ب. الموت بالصّلب

يُعتبَر موت يسوع بالصليب أحد أكثر طرق الإعدام والتعذيب التي ابتكرها البشر قسوةً وبشاعة وحقارةً. عادةً ما تتطلَّب هذه الطريقة إجراءاتٍ طويلة تصل لحوالي يومين إلى ثلاثة أيّام. ولم يكن فقد الدم هو ما كان يؤدّي إلى الموت، ولكن عجز الضحية عن رفع رأسه بما يكفي عن صدره ليتنفّس، ولذا كان يموت اختناقًا. وفي الحقيقة، مات يسوع كضحيةٍ على الصليب بسرعة غير اعتيادية. قد يعود هذا إلى الجلد الذي تعرّض له الذي أمر به بيلاطس الجنود الرومان سابقًا على أمل أن يرضي هذا قادة الشعب اليهودي فيتوقّفون عن المطالبة بإعدامه. أو ربما كان موت المسيح المبكّر يعود إلى عنصر فوق طبيعي أو طوعي، إذ يبدو أنّه كانت لديه القوّة ليصرخ بصوتٍ عالٍ قبل أن مات. ربما أراد كُتّاب الأناجيل أن نفهم أنه حتّى في لحظات الألم الشديد كان يسوع يملك القدرة على أن يضع

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ»الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

حياته بوعيٍ وطواعية.

ت. الأقوال السبعة

اللاهوت الذي نتعلّمه على الصليب، أي من الوقت الذي قضاه يسوع على خشبة العذاب هذه، لاهوت عميق أيضًا، وربما من الجيد أن نستعرض هذا اللاهوت في هذا المسح القصير للتركيز على ما صار لاحقًا يُعرَف بـ»كلمات يسوع السبعة الأخيرة». طبعًا ليست الإشارة إلى «سبع كلمات» بل إلى «أقوال» دوّنها كُتّاب الأناجيل الأربعة في مواقع مختلفة. والراجح أن تسلسل هذه الكلمات السبعة هو كما يلي:

١. الكلمات المُدوّنة هنا على لسان يسوع على الصليب تُظهِر أنّه حتى في ألمه الشديد كان مستعدًّا لأن يغفر للمشتكين عليه ومعذّبيه وأعدائه في صرخته: «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤). وقد تحدَّثنا سابقًا عن دعوة يسوع لتلاميذه في العظة على الجبل إلى أن يحبّوا أعداءهم، ومن ثمّ نراه يُظهِر هذا الموقف في أقسى الظروف وأصعبها.

٢. ثانيًا، التفت يسوع إلى أحد اللصين (والأفضل ترجمة الكلمة اليونانية إلى «متمرّد» أو «مثير فِتَن وقلاقل») اللذين كانا مصلوبين على جانبيه، وهو اللصّ الذي صرخ إلى يسوع بأن يتذكّره حين يأتي في ملكوته. فردّ عليه يسوع: «اليوم، تكون معي في الفردوس» (لوقا ٢٣: ٤٣). ولذا فور موتهما، موت يسوع وهذا اللصّ، أمكنهما التمتُّع بمحضر الله الآب بسعادة أبدية.

٣. ثالثًا، التفتَ يسوع إلى أمّه وتلميذه الحبيب، الرسول يوحنا، وقال لأمّه: «يا امرأة، هوذا ابنك.» وقال لتلميذه: «هوذا أمّك» (يوحنا ١٩: ٢٦–٢٧). فكان يسوع بكلامه هذا يتكلّم بلغة الودّ العائلي. وحتّى على الصليب، لم ينسَ يسوع الأقرب إليه. يعتقد كثيرون أن يوسف، أبا يسوع الذي تبنّاه وربّاه، كان قد مات، ولذا نراه يطلب من تلميذه الحبيب، يوحنا، بأن يعتني بمريم، أ مّه.

٤. رابعًا، «صرخ يسوع قائلاً: ... 'إلهي إلهي لماذا تركتني؟'« (متّى ٢٧: ٤٦). مع أن اللاهوتيين يصارعون مع هذه الكلمات وما تعنيه حقيقة حمل خطايا العالم، فإن ثمّة أمرًا واضحًا: كان لدى يسوع شعورٌ وإدراك بالانفصال عن أبيه السماوي. فوعيه وإحساسه بالوحدة والحميمية التي تمتّع بها طيلة حياته ضعُفا.

٥. خامسًا، صرخ قائلاً: «أنا عطشان» (يوحنا ١٩: ٢٨)، ومع هذا رفض أن يشرب مسكِّنًا للألم أو سمًّا – أيَّ شيءٍ يمكن أن يخفّف ألمه أو يعجّل في موته. ولذا، فإن من المرجح أن قوله «أنا عطشان» ليس مجرّد تصريح عن ألم بشري، ولكنّه يشير إلى ألمٍ روحي يتبع إدراكه لانفصاله عن الله.

٦. سادسًا: قال: «قد أُكمِل» (يوحنا ١٩: ٣٠)، مشيرًا بهذا إلى حياته، وربما كان القصد من هذه الكلمات أن ندرك أن خطة الخلاص كاملةً قد اكتملت.

٧. وأخيرًا صرخ ناطقًا بصلاة يهودية للأطفال، واثقًا بأبيه الذي لم يعُد يشعر بوجوده قريبًا منه: «يا أبتاه، في يديك أستودع روحي» (لوقا ٢٣: ٤٦).

خامسًا: الأحد

أ. القيامة

لو كانت تلك هي نهاية القصّة، لكانت هذه أعظم مأساة لشهيد عظيم، ولكنّ الأناجيل الأربعة كلّها تشدِّد على حقيقة أنّها لم تكن النهاية. فبعد الموت، بعد بقاء جسده لساعاتٍ قليلة يوم الجمعة وطيلة يوم السبت وحتّى صباح يوم الأحد، قام من الموت. أقامه الله من الموت. ثمّة كثيرون يتعثّرون بهذا الجزء من رواية الأناجيل أكثر من أي جزءٍ آخر، إذ يعتقدون أنه يستحيل للقارئ المعاصر أن يدرك ويقبل مثل هذه القصّة المعجزية. ولكنْ يبدو أن البدائل التي يقدّمها البعض تتطلّب إيمانًا أعظم.

ب. بدائل ممكنة

يقول البعض إن يسوع لم يمُت، ولكنّه غاب عن الوعي، ثم عاد إلى وعيه، وتمكّن بطريقةٍ ما من دحرجة الحجر العظيم عن مدخل القبر، وأقنع تلاميذه أنّه بصحّةٍ جيدة. ويدّعي آخرون أن جسده سُرِق. ولكنْ لماذا لم يتمّ إبراز هذا الجسد لاحقًا؟ فإن كان التلاميذ هم من سرقوا هذا الجسد، فلماذا كانوا مستعدّين لأن يموتوا ميتة الشهداء لما يعرفون أنه كذبة ابتكروها؟ ويقول آخرون إن النساء ذهبن

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ»الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

لقبر آخر، ولكنْ مع هذا يمكن الإشارة إلى القبر الذي دُفِن يسوع فيه. ويقول آخرون إنه حصلت هلوسة جماعية وسط التلاميذ. ولكن الوضع النفسي الذي كان التلاميذ فيه، وهم في حالةٍ من الهزيمة والجُبْن والانكماش وراء أبوابٍ مُغلقة، لم يكن وضعًا يبثّ الأمل والرجاء اللذين يمكن أن يقودا لأن يروا الربّ المقام في رؤىً.

ولذا، فإنّ معظم العلماء الذين لا يستطيعون قبول حقيقة القيامة الجسدية يشيرون إلى هذه القصة بصفتها إضافة أسطورية لاحقة زيدت على الإيمان المسيحي. ولكنّ بولس يشير في ١كورنثوس ١٥ إلى ما تعلَّمه حين تحوّل إلى المسيح بعد أقل من عشرين سنة من أحداث موت يسوع، ويشير إلى أن هناك مجموعةً تزيد على الخمس مئة شاهد، معظمهم كانوا ما يزالون أحياء، يمكنها أن تشهد لحقيقة القيامة. مع أن القيامة حدثٌ فوق طبيعي، فإنّه واضح أن الأدلّة عليها أقوى من الأدلة التي تُقدّم عن أحداث طبيعية واعتيادية في التاريخ.

ت. مغزى القيامة بالنسبة للمؤمنين

إن كُنّا منفتحين لاحتمال حدوث ما هو فوق طبيعي، فعلينا أن نقرّ بهذا الحدث الرائع والمدهش. ولكن علينا أن نتكلّم أيضًا عن مغزاه. إن إمكانية وجود حياة لنا بعد الموت تعتمد بشكلٍ مباشر على حقيقة قيامة يسوع، كما يعلّم الرسول بولس في ١كورنثوس ١٥. فيمكن القول إن قيامته كانت باكورة القيامة العامة لكلّ المؤمنين، لكلّ شعب الله عبر التاريخ البشري (انظر بشكلٍ خاصّ ١كورنثوس ١٥: ٤). ولكنّ طبيعة جسد قيامة المسيح أيضًا تشير إلى ما ستكون طبيعة أجساد القيامة عليه – فهي ستكون استمرارًا وعدم استمرار لأجسادنا الحالية.

يُظهِر يسوع بظهوراته العديدة بعد القيامة أنّه لم يعُد محصورًا في محدوديات جسده البشري. فقد صار يستطيع اجتياز الأبواب المُغلّقة، وصار قادرًا على أن يظهر ويختفي. ومع هذا، فهو يوضّح أنّ جسده جسدٌ بشريّ حقيقي. فيمكن أنْ يُلمَس، ويمكن أن يُشعَر به، ويمكن أن يأكل طعامًا. هذا المزيج من البشرية المفدية والمُمجّدة والمكمَّلة بالكامل (وهو ما نقرأ عنه في الجزء الثاني من كورنثوس الأولى ١٥، في الآيات ١٢–٥٨) هو ما ستتّصف به أجساد القيامة التي سيحظى بها المؤمنون في المستقبل. ولذا، مع أن ثمّة أمورًا كثيرة لا نفهمها بشأن هذا الحدث النهائي والذروي في حياة يسوع وخدمته، علينا أن نعترف بأنه أبرز وأهم حدث. فمن دون قيامة ما كان موته ليكون كفاريًا. ومن دون موته، ما كانت قيامته لتكون حدثًا بشريًا حقيقيًا وأصيلاً.

الملاحظات

جميع الحقوق محفوظة. أي جزء من هذا المنشور قد تكون مستنسخة في أي شكل أو بأي وسيلة من أجل الربح، إلا في الاقتباسات وجيزة لأغراض الاستعراض، تعليق، أو منحة دراسية، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.